



بعد العقوبات التي أعلنتها الولايات المتحدة على الرئيس السوري بشار الأسد وكبار أعوانه، وبعد ما ورد في خطاب الرئيس باراك أوباما حول ضرورة أن «يشرف الأسد على انتقال السلطة أو يرحل»، يبدو جلياً أن أميركا تخلت تماماً عن الأسد ونظامه. ولكن، على عكس بعض الأصوات المطالبة، ترفض واشنطن سحب سفيرها في دمشق روبرت فورد، الذي عينه أوباما بمرسوم، مطلع العام، بعد رفض مجلس الشيوخ المصادقة على التعين بقانون.

أسباب بقاء فورد في سوريا تلخصها مصادر في البيت الأبيض على الشكل التالي: «نحن نبحث حالياً في مرحلة ما بعد الأسد، وعلى غرار ما فعلنا في مصر عندما قمنا باتصالات بضباط الجيش الكبار الذين ضمنوا لنا انتقالاً سلرياً وأمناً، نبحث الآن في كيفية تأمين انتقال مشابه في سوريا».

تقول المصادر: أن في علاقاتها مع الدول عموماً، تعتمد الولايات المتحدة على أربعة أساليب؛ «الأسلوب الأول والأكثر متانة هو علاقة جيش إلى جيش، أي أن تكون مؤسسة الدفاع الأميركية على اتصال وتنسيق تامين مع مؤسسة الجيش في دولة ما، مثلاً علاقتنا مع إسرائيل ومصر والعراق، ودول أخرى».

الأسلوب الثاني، حسب المصادر، « يأتي عن طريق الدبلوماسيين الأميركيين ووزارة الخارجية والسفارة الأميركية في بلد ما». والجدير بالذكر أن هذه السفارات، على الأقل حسبما أظهرت وثائق ويكيبيك، تعمل على إعداد تقارير عن كثب لأوضاع الدولة التي تعمل فيها، الصديقة منها وغير الصديقة، وتقدم توصيات وتقيم اتصالات بفعاليات سياسية أو غير حكومية أو اجتماعية، «ما يمثل خط تواصل رديفاً لخط التواصل الرسمي بين حكومة الولايات المتحدة ونظيراتها في هذه الدولة أو تلك».

أما الأسلوب الثالث، تضيف المصادر، « فهو علاقة مع أحزاب سياسية داخل الدولة». ويتبادر إلى ذهن محدثنا لبنان كمثال، ويقول: «في لبنان لدينا صداقات متعددة مع أطراف مختلفة لديها حضور وتأثير على الأرض، وهو ما يبقينا على علم بالتطورات ودعم ما يتاسب مع مصالحنا وإبداء المعارضة مع ما يتعارض مع هذه المصالح، بغض النظر عن وضع علاقتنا بالحكومة الحاكمة».

أما الأسلوب الأخير، فهو «العلاقة مع الأحزاب المعارضة المقيمة في المنفى، في حالة الدول التي تعيش تحت قبضة حكام يبطشون بشعبهم ولا يسمحون بتنوع الآراء». إلا أن هذا الأسلوب ثبت أنه «مخادع، ويؤدي إلى مشاكل جمة، كما حدث في العراق». ويقول المصدر المسؤول: «في العراق، ربّينا بثقلنا خلف المعارضة في المنفى وتحالفاً معهم لتأمين انتقال سهل للسلطة بعد انهيار نظام صدام، إلا أننا تعلمنا درساً كبيراً (مفاهيم أن) المعارضات المختلفة قد تكون من أجل مصالحها وقد تكون عاجزة تماماً عن قيادة الدولة التي ينهار نظامها في المرحلة الانتقالية إلى بر الأمان».

من بين الخيارات الأربع هذه، ليس أمام الولايات المتحدة في الشأن السوري إلا «العلاقة الدبلوماسية». لذا، يقول المسؤول الأميركي، «لم نسحب سفيرنا فوراً من دمشق ولم نطرد (سفير سوريا في واشنطن) عماد مصطفى».

ويضيف: «في مصر، لدينا علاقات وعيون وآذان... قبل أن يطلب الرئيس من (الرئيس المصري السابق حسني) مبارك الرحيل، رفعنا سماعة الهاتف وتباحثنا مع نظرائهم المصريين، وزودوا فريق الأمن القومي بمعطيات دقيقة حول الوضع وإمكانات التغيير والفرص المتاحة».

الأهم من ذلك كله، يقول المسؤول، «هو أننا استطعنا أن نضع تصوراً معيناً للعملية الانتقالية، وبدأ لنا أن الوضع لن يتآزم وإن الاستقرار سيستمر في حده الأدنى».

أما في سوريا، «حتى أخبار التظاهرات تأتينا بوسائل غير اعتيادية عن طريق الانترنت ومواقع يوتوب وفاسبوك، وهذا ما يجعل معلوماتنا عما يجري داخل سوريا مجترةً»، ورغم عدم اكتمال الصورة، يؤكّد المسؤول الأميركي «قيام نظام الأسد بمجازر بحق السوريين المدنيين العزل». ولكنه يعتبر أن المعلومات المتواترة من سوريا تخبر بما يحدث ولكنها «ليست كافية لإخراجنا من الظلمة التي نقف فيها». ويقول: «ما نفعله في سوريا حالياً هو كمن يتغول في غرفة مظلمة، تزيد معلومات كي نبني عليها سيناريوهات لانتقال السلطة، ولكن هذه غير متوفّرة، ووجود السفير هو من المصادر القليلة التي تزودنا بنصائح إضافية غير تلك التي يراها الجميع في وسائل الإعلام».

عن خوف واشنطن من قيام النظام السوري بترحيل السفير الأميركي ليمارس المزيد من التعنيف على الأحداث في سوريا، يختتم المسؤول: «هذا يعني أننا سنبدله الترحيل بترحيل سفيره، وسيصبح هو أيضاً في الظلام عن خطواتنا وموافقتنا تجاهه».

المصادر: